

إذا كان صِغار السن يمكن أن يكون لهم وزن وتأثير في هذه الحياة فكذلك العجزة والذين شاخت أعمارهم يمكن أن يكونوا مؤثرين وفاعلين. إن الشيبَ جلةٌ ووقار، ونور للعبد ومَنار، وما أجمل ما سطره القائل إذ يقول:

تفاريقُ شيبٍ في السَّوادِ لَوامِعُ      وما خيرُ ليلٍ ليس فيه نجومٌ

وعن كعب بن مرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ( رواه الترمذي والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع).

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ( رواه أحمد، والترمذي، والنسائي).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنْ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ: إِكْرَامُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ، غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامُ ذِي السُّلْطَانِ الْمَقْسُطِ " ( رواه أبو داود).

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْمَشِيبِ فَإِنَّهُ      سِمَةٌ الْعَفِيفِ وَحِلْيَةٌ الْمُتَحَرِّجِ

وَكَأَنَّ شَيْبِي نَظْمٌ دُرٌّ زَاهِرٌ      فِي تَاجِ ذِي مَلِكٍ أَعْرَ مُتَوَجِّجِ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ " ( رواه أحمد والترمذي).

فَلِلَّهِ دُرٌّ أَنَا سِ طَالَ عَمْرُهُمْ، وَعَلَتْ هِمْمُهُمْ، وَحَسُنَ عَمَلُهُمْ.

قال أبو ظبيان: أَعَزَّى أَبُو أَيُّوبَ، فَمَرَضَ، فَقَالَ: إِذَا مِتُّ فَاحْمِلُونِي، فَإِذَا صَافَقْتُمُ الْعَدُوَّ، فَارْمُونِي تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، أَمَا إِنِّي سَأَحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: " مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ " ( رواه أحمد والطبراني، وإسناده قوي).

هذه حاجة أبي أيوب، وهو يجود بروحه، تُعَجِّزُ كُلَّ تَصَوُّرٍ لِبَنِي الْإِنْسَانِ!! ولقد أنجز يزيد وصية أبي أيوب، وفي قلب القسطنطينية ( استانبول ) ثوى جثمان رجل عظيم، جدِّ عظيم. لقد أراد أن يكون مثواه الأخير حيث يزحف جيش الإسلام، وتحقق الأعلام، وتسهل الخيول، هناك حيث صلصلة السيوف، وقد كان شيخاً كبيراً، فرحمه الله رحمةً واسعةً.

وهذا يوسف بن تاشفين كان يقاتل الفرنجة ويقود الجيوش بنفسه وقد جاوز الثمانين من عمره.

ولقد فتح ابن نصير الأندلس وعمره ( ٧٤ ) سنة، وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك، وكان فتحاً عظيماً حتى أنه لما استدعاه الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه ( ٩٥هـ ) وصل موسى دمشق ومعه ( ١٢٠ ) من الملوك وأولادهم سبايا.

وكان موسى بن نصير يقول ( وهو شيخ كبير قد شارف الثمانين ) : ما هُزمت لي راية قط، ولا فُضَّ لي جمع، ولا نُكِب المسلمون معي نكبةً منذ اقتحمتُ الأربعين إلى أن شارفتُ الثمانين. و بعد أن أوغل موسى بن نصير في فتح الأندلس وجاوز سرقسطة، وكان آنذاك شيخاً مسناً، قال: أما والله لو انقادوا إليّ لقدُتهم إلى رومية، ثم يفتحها الله على يديّ إن شاء الله، فلهه درك من شيخ لا يعرف للمستحيل معنى.

وهذا ثابت البُناني، بلغ ستّاً وثمانين سنة، قال عنه بكر المزي: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فليُنظر إلى ثابت البُناني، فما أدركنا الذي هو أعبد منه. وقال عنه أنس بن مالك رحمه الله: إن للخير مفاتيح، وإن ثابتاً من مفاتيح الخير.

وقد أَلَّفَ الحاكم النيسابوري كتابه القيم: " المستدرك على الصحيحين " إملأء من ذاكرته بعد أن جاوز التسعين من عمره.

أما عمر المختار فقد دوّخ المستعمر الإيطالي، وظلّ يقاومه حتى أقدم الإيطاليون على إعدامه يوم ١٦/٩/١٩٣١م وقد جاوز التسعين من عمره.

وكذا الصحابي الجليل أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه الذي، فقد شهد العقبة وبدراً، وغزى مع النبي صلى الله عليه وسلم كل الغزوات، وكان له دوره المميز في صفوف الجيش مع النبي صلى الله عليه وسلم، حتى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: " صوت أبي طلحة في الجيش خيرٌ من مائة " ( أخرجه أحمد وإسناده صحيح). وكان كثير الصوم وقلما يفطر، وكان زاهداً متعبداً، وقد تقدم السن بأبي طلحة رضي الله عنه، ولم يتخلف عن غزوة قط، ولم يتعذر بكبر السن فيجلس ويستريح، بل مضى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ليكمل المسيرة باحثاً عن الشهادة التي تمناها من سنين.

وعن أنس رضي الله عنه: أن أبا طلحة قرأ سورة " براءة " فأتى على هذه الآية: " انفروا خفاً وثقالاً " فقال: أرى ربي يستنفرني شاباً وشيخاً، جهزوني، فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض، وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر،

فنحن نغزو عنك، فقال: جهزوني، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير.

وانظر كذلك إلى جورج داوسون الذي لم يتعلم القراءة والكتابة إلا بعد بلوغه الثامنة والتسعين من العمر، وبعد أربع سنوات من تعلمه ( فك الخط ) كتب سيرة حياته في كتاب بعنوان ( الحياة رائعة جداً ) باع منه ( ١٠٠ ) ألف نسخة خلال الأسابيع الأولى من صدوره، واحتل قائمة أكثر الكتب مبيعاً لفترة طويلة، كما قام بجولة في كل أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية لترويج الكتاب.

وكم نخسر كثيراً بسبب ذلك القانون الذي يحيل من بلغ ستين سنة إلى المعاش، وكأننا نقول له: لقد انتهت صلاحيتك، وآن لك أن تذهب إلى بيتك وتنتظر الموت، فلا فائدة منك!!  
إذن السن ليس حجة للتقاعد أو التوقف عن صناعة الحياة والتأثير في الواقع، وإنما يستطيع الإنسان ( لو قرر واجتهد واستعان قبل ذلك بالله تعالى ) أن يفعل شيئاً كثيراً مهما كان سنه، فعندما تكون الهمة عالية والنفس طموحة يكون السن صغيراً كان أو كبيراً هو المطلوب.

## **د. علي الحمادي**

**رئيس مركز التفكير الإبداعي**

**ورئيس مركز الدقيقة الواحدة**

**والمشرف العام على الموقع الإلكتروني إسلام تايم**